نحو إستراتيجية علمية لنصرة الرسول صلى اللّه عليه وسلم

إعداد

أ.د. نبيل السمالوطي

بب

مفكرو الغرب ومواقفهم المتناقضة من نبي الإسلام

نحو إستراتيجية علمية منهجية
لنصرة الرسول صلى اللّه عليه وسلم

رؤية أعدها :

دكتور / نبيل السمالوطي

عميد كلية الدراسات الإنسانية سابقاً

أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر

مقرر لجنة الندوات والمؤتمرات برابطة الجامعات الإسلامية

مقدمة

يتعرض الإسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لحملات شرسة تهاجمه وتعبث برموزه وعقيدته وشريعته ونبيه صلى الله عليه وسلم ، كما تعبث بسير الصحابة، وقد ازدادت واحتدت هذه الهجمات حديثاً بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فالولايات المتحدة الأمريكية عزت أحداث ذلك اليوم فوراً إلى الإسلام والمسلمين، واتخذت من الإسلام العدو البديل، واعتبرته الخطر الأخضر كبديل عن الخطر الأحمر أو الشيوعي الذي سقط بسقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩م، وبعد تسوية الأمور مع الخطر الأصفر أو التنين الصيني، وانطلق الغرب بقيادة أمريكا في محاربة الإسلام والمسلمين، ومن هنا كانت حملات احتلال أفغانستان ثم العراق دون مبرر عقلي أو شرعي أو دوافعي، وكانت الحملات على كتاب الله بمحاولة تقديم بديل هزيل هو ما أطلق عليه ((فرقان الحق))، والحملات على الشريعة الإسلامية وعلى شخصية رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أبرز هذه الإساءات مؤخراً محاضرة البابا بنكت السادس عشر في جامعة ألمانية، حيث قال فيها في مجال المقارنة بين الإسلام والمسيحية : أن العقيدة المسيحية تقوم على المنطق، ولكن العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل أو المنطق. وقد استشهد في كلمته باقتباسات من كتاب إمبراطور بيزنطي هو مانويل الثاني يقول فيه في حواره مع فارس مسلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأتي إلا بما هو سيئ وغير إنساني، كأمره بنشر الإسلام بالسيف، وأنه لم يأتي إلا بما يسيء للإنسانية ويغذي الشر، وهو لم يتفهم حقيقة العقيدة الإسلامية ولا حقيقة الإرادة الإلهية في الإسلام، فالله مطلق الحرية لكنه لا يريد إلا الخير (**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ**).

وإطلاق إرادة الله آتية من أنه هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القاهر فوق عباده، خالق كل شيء ومليكه، وهو لا يرضى لعباده الشر أو الكفر، وقد توعّد الشيطان لأنه هو الذي يمثل الغواية للمؤمنين وللناس أجمعين.

وبعد هذه المحاضرة غير العلمية، التي تضمنت العديد من الأخطاء الفادحة، رد عليه بعض علماء الدين المسيحي الذين انتصروا للإسلام (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا). فقد قال "جيل كيبل" الباحث الفرنسي المتخصص في الدراسات الإسلامية أن البابا حاول الدخول في منطقة النص القرآني، وأن الدخول في هذه المنطقة سيدفع بعضاً من المسلمين إلى التطرف، كذلك حذر عالم اللاهوت "هانس كومخ" المتشدد من أن هذه التصريحات لن تلقى ترحيباً لدى المسلمين، وتتطلب توضيحاً عاجلاً، ثم اضطرب الأب "فديريكو لومباردي" المدير الإعلامي لمكتب البابا بندكت السادس عشر إلى التحدث مع الصحفيين ليؤكد أن البابا لم يقصد أن يعطي تفسيراً للإسلام على أنه دين العنف والسيف[1]. وقد جهل البابا أو تجاهل أن الإسلام دين العقل والمنطق فقد أعلى الإسلام من شأن العقل، وجعل التفكير وإعمال العقل فريضة إسلامية، ورفض كذلك إيمان المقلدين دون إخضاع للمنطق والعقل، وطالب من الرسول أن يعفو ويصفح (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**) (الأعراف:١٩٩) وقال تعالى : (**قُلْ لا تُسْأَلونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) (سبأ:٢٥). وقال تعالى : (**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**)(البقرة: من الآية١٩٤)، فالحرب الإسلامية للدفاع وليست للعدوان، وتُقدّر بقدر العدوان على المسلمين.

وسوف نعرض في هذه الورقة لأشكال الاعتداءات المعاصرة على الإسلام ونبيه الكريم، مع عرض آراء بعض المنصفين من الغربيين، والانتهاء برؤية علمية

[1] د. كمال متولي : "الحكمة ضالة"، منشورة، دراسة بالأهرام تاريخ ٢٠٠٦/١٠/٢٣م.

واجتماعية ونفسية لكيفية عرض صحيح الدين لدى الآخر الغربي، والكشف عن أباطيل الحملة الشرسة التي تحاول النيل من الإسلام ونبيه وكتابه وشريعته وقيمه، ومن المسلمين، وهذه الرؤية تتصل أولاً بترتيب البيت من الداخل، والدعوة إلى وحدة العلماء أو ضرورة اجتماع علماء الأمة والاتفاق على الإستراتيجية الأساسية للدعوة والتعريف بالإسلام الصحيح في الغرب والشرق، ثم مواجهة الأباطيل والافتراءات الموجهة إليه سواء من المستشرقين أو من رجال الكنيسة أو من الإعلام والصحافة، أو من مسئولين في دول. هذه الوحدة بين العلماء على الحد الأدنى من إستراتيجية الدعوة ضرورة حتمية لمواجهة هذه الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين من جهة، ثم هي ضرورة حتمية للتمهيد لوحدة الشعوب والحكومات الإسلامية، والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتمزق والضياع. ولا تكون وحدة المسلمين إلا بإيجاد مؤسسة تنسيقية تنسق بين أعمال كل المجالس الإسلامية والمجامع الفقهية والعلمية في العالم الإسلامي، وهذه الرؤية تتصل ثانياً بآليات الدعوة وعرض الإسلام الصحيح في الدول غير الإسلامية، وثالثاً تطرح مجموعة من التساؤلات التي لابد من الإجابة عليها، حتى لا ندعي نجاح الحوار الديني والحضاري مع الآخر الديني واللغوي والعرقي، ثم نفاجأ بما ينسف كل الجهود مثل محاضرة البابا في جامعات ألمانيا هذا العام.

العداء المعاصر للإسلام وكيفية المواجهة :

على الرغم من شناعة استشهاد بابا الفاتيكان بحوار إمبراطور بيزنطي جاهل مع مسلم فارسي، وعدم علمية كلام الإمبراطور وحقده الواضح على الإسلام، فقد توالت الهجمة الشرسة المخططة على الإسلام، فبعد موجة الرسوم الكاريكاتورية التي أساءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في الدانمارك، وبعد الغضبة الإسلامية وحركة الاحتجاجات بل وتشكيل لجان من علماء مسلمين ذهبت للحوار مع مثقفي الدانمارك. كل هذا لم يجدي، فقد نظم حزب الشعب

اليميني المتطرف مسابقة للتمثيل لتسخر من النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره إرهابياً يشرب الخمر، يلف حول وسطه حزاماً ناسفاً ليقصف العاصمة كوبنهاجن. وقد بثت قناة التليفزيون الوطنية أجزاء من المسرحية الفائزة، وقد وصل الإجرام إلى حد ظهور شاب في المسرحية يمثل دور النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحمل حزامه بالمتفجرات[٢].

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد حديثاً، وفي العام الحالي ٢٠٠٦م ظهر أسقف كانتربري السابق –وقد حصل من ملكة انجلترا على لقب لورد- ليقول أن العالم اليوم مهدد بالصراع بين الحضارات، وأنه ليس صراعاً بين الغرب وبين متطرفين إسلاميين، ولكنه في الحقيقة صراع بين الغرب والإسلام.

وقد ألقى هذا اللورد محاضرة في جامعة ينوبولد البريطانية بعنوان "الصليب والهلال" : "أو الصراع بين الأديان في عصر العلمانية" ادعى فيه الإسلام دين يدعو إلى العنف، وذهب إلى أنه لن يكون هناك نمو اقتصادي أو مادي كبير في الدول الإسلامية إلا إذا سمح للعقل المسلم أو استطاع هذا العقل التخلص من المفاهيم والشعارات المقدسة. و لم يقتصر الدوق عند هذا الحد المتدني من الفكر والحق الدفين على الإسلام والمسلمين، ونزعة صليبية متطرفة، لكنه أكد في محاضرته على أن المسلمين لديهم مرض الخوف أو الخوف المرضي (فوبيا) من الغرب والحضارة الغربية، أطلق على هذا المرض اسم "وست فوبيا" West Fobia ، وقد تزايدت حدة هذا المرض في السنوات الأخيرة.

وظاهرة العداء للإسلام والخوف منه والحقد عليه انطلاقاً من مصالح خاصة، وخوفاً من سيادة قيمه العليا ومكارم الأخلاق وما يدعو إليه من رحمة وعدل وحرية وإخاء. هذه الظاهرة قديمة فقد حدثت بكثافة في عهد الرسول صلى الله

---

[2] رجب البنا : "كيف نواجه العداء للغرب"، الأهرام ٢٠٠٦/٦/١٥م.

عليه وسلم ، حيث قالوا عليه مجنون، وساحر، وكاهن، ويعلمه بشر، وقالوا على القرآن الكريم نفسه أنه أساطير الأولين، وترديد لفلسفات وأديان سابقة، .. إلخ.

وقد سجل القرآن بموضوعية وشفافية كاملة هذه الاتهامات، ورصدها ورد عليها لنتيقن أن العداء للإسلام قديم ومستمر إلى يوم القيامة (**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**)(البقرة: من الآية١٢٠). وقال تعالى : (**وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً**)(الفرقان: من الآية٨). وقال تعالى : (**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**)(صّ: من الآية٤)، وقال تعالى : (**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**)(الاحقاف: من الآية٧-٨)، وقال تعالى : (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**) (النحل:١٠٣).

وعلى الرغم من هذه الهجمة الشرسة في عهد الرسول الكريم وحتى الآن على الإسلام والمسلمين، فقد أكد القرآن الكريم أن هذه الهجمة الحاقدة لم تتمكن من النيل من الإسلام، الذي وعد الله بحفظه وحفظ كتابه، واستمر وسوف يستمر إلى قيام الساعة، وازداد انتشاراً في كل أنحاء العالم، وأصبح المسلمون اليوم يمثلون ربع سكان العالم، منهم ٤٠ مليون مسلم في أوروبا، و٨ مليون مسلم في الولايات المتحدة، والباقي موزعين على الدول الإسلامية وجميع أنحاء العالم، وهو يزداد انتشاراً بفضل الله، ثم بفضل مخاطبته العقل السليم والفطرة السليمة ومنهجه الواقعي، وقيمه الإسلامية السامية، وما يرسيه من مبادئ تؤكد على الحرية والعدالة والرحمة والإخاء، كما تؤكد على عمارة الأرض والتنمية والتقدم العلمي بكل مجالاتها وأنواعها.

فقد حفظ الله المسلمين، وحفظ الإسلام من كل العداوات والحملات والحروب على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً. ويرصد المتابعون للدراسات والبحوث الدينية أن الإسلام هو أكثر وأوسع الديانات انتشاراً قبل وبعد أحداث

الحادي عشر من سبتمبر، وهذا ما اعترفت به وزارة خارجية أمريكا، وهذا ما يزيد الحاقدين عليه حقداً وقلقاً، ويؤجج نار الحملة المسعورة. الإسلام إذن ليس في خطر مهما اشتد الهجوم عليه ومهما واجه من إساءات وأحقاد وأكاذيب، والتي كان من آخرها محاضرة رأس الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا عام ٢٠٠٦م.

واستقراء التاريخ والرجوع إلى الواقع يؤكد أن هذه الحملة الشرسة على الإسلام تنبثق من الخوف من انتشار قيم الإسلام العليا، ومشروعه الحضاري الشامل الذي يحرر الإنسان ويعلي من قيم الخير والحق والعدالة والمساواة، وبالتالي يهدد المشروعات الإمبريالية والرأسمالية المتوحشة. ويجب الوقوف على ما وراء هذه الهجمة من استنزاف ثروات بلاد الإسلام وإبقاءها على حالة التخلف، وتفتيت هذه الدول على أسس عرقية أو إقليمية أو دينية أو لغوية، وهذا ما نراه يتحقق –للأسف الشديد– في دول إسلامية كالعراق ولبنان والسودان، وهو ما يخطط لحدوثه في بقية الدول الإسلامية.

ومن هنا نفسهم ظهور وانتشار سيادة التيارات السياسية اليمينية المتطرفة في أوروبا وأمريكا، تلك التيارات المتأثرة بالصهيونية، والتي تدعو إلى طرد المسلمين وإلى تحريف القرآن، بل والمطالبة بحذف بعض الآيات من القرآن، كما فعلت مجلة الأيكونومست البريطانية منذ سنوات في دراسة مطولة لها، طالب خلالها أكاديميون بريطانيون بحذف ١٤ أربعة عشر آية من القرآن لأنها –حسب زعمهم– تتصادم مع قيم الحضارة المعاصرة، وتمنع اندماج العالم الإسلامي في العولمة.

وقد ذهب مفكر إستراتيجي أمريكي وهو "بريجنسكي" في مقال له في نيويورك تايمز في أول سبتمبر ٢٠٠٢م بحق أن هناك جهات لها مصالح إستراتيجية تروج للعداء بين أمريكا والعرب والمسلمين.

وهنا نتساءل عن أسلوب المواجهة.. هل يكون انفعالياً عاطفياً، أم يجب أن يتسم بالحكمة والعقلانية والأخذ بالحلول العلمية؟ هم يريدون جرنا إلى حرب دينية وإلى فقدان العقل والتروي والحكمة، ويطالبنا القرآن الكريم بأن نواجه الحملة بعقلانية ولا نقع في فخ حرب الأديان، فالمنهج الإسلامي هو المجادلة بالتي هي أحسن (**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)(النحل: من الآية١٢٥)، وبالدعوة إلى كلمة سواء (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**)(آل عمران: من الآية٦٤). كذلك يجب على مثقفي المسلمين والمشتغلين منهم بالعلوم الاجتماعية والقانونية والثقافية مدارسة معنى حرية الفكر والتعبير التي يدّعي الغرب الالتزام بها، ويبرر من خلالها جرائمه المتعددة البشعة في حق الإسلام ورسوله وكتابه الكريم. فحرية التعبير لا تعني الاعتداء على مقدسات الآخرين، ولا تعني الاستهزاء من الديانات الأخرى أو من رموزها وكتبها، ولا يعني السخرية من أنبياء الله؛ لأن هذا يجر العالم إلى مجازر لا يعلم مداها إلا الله. وقد حدثت نماذج لها في التاريخ الإنساني، وقد بلغ السمو القرآني حداً كبيراً، فقد منع المسلمين من سب الأصنام والأوثان التي يعبدها الكفار، حتى لا يسب الكفار الله بغير علم، على الرغم من أن رسالة الإسلام الأولى ومهمته الأساسية إعلاء كلمة التوحيد وحقيقية، وإزالة الشرك والقضاء على الكفر. يقول تعالى : (**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**)(الأنعام: من الآية١٠٨).

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أنه يؤكد لنا حقيقة ما نعاصره اليوم، ويدعونا إلى عدم الاستسلام والخنوع، ويحضنا على قوة الإرادة والعزيمة الصادقة على النصر والتقدم وصنع الحضارة[3]. يقول تعالى : (**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ**

[3] د. حسن الشافعي : "دور الأزهر في تحصين الأمة"، دراسة بالأهرام ١٧ فبراير ٢٠٠٦م.

وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران:١٨٦).

الإسلام والغرب.. تفاهم أم صراع ؟

لقد ناصب الغربيون الإسلام العداء منذ القدم، وظهر هذا في عدة مناسبات تاريخية واجتماعية، وعلى الرغم من أن حضارة الإسلام وعلومه كانت أحد العوامل الأساسية للنهضة الأوروبية، حيث حصلوا على علوم المسلمين وفكرهم وما حفظوه من تراث أوروبي وفارسي وشرقي من خلال مراكز التقاء الحضارة الإسلامية بالغرب وهي الأندلس، وجزيرة صقلية، ومن خلال التفاعل مع المسلمين أيام الحروب الصليبية، على الرغم من هذا فإن العلاقة بين الإسلام والغرب كثيراً ما اتسمت بالصراع على مدى تاريخ طويل، وقلّما وصلت إلى نقطة التلاقي. واليوم وبعد أن حقق الغرب شوطاً كبيراً في التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي، وبعد أن حقق تقدماً كبيراً في المجالات الاجتماعية والسياسية وفي مقدمتها الحرية والديمقراطية، وعلى الرغم من استحواذهم على ٨٥% من ثروات العالم، على الرغم من هذا كله فإنهم مازالوا ينظرون إلى المسلمين على أنهم أعداء. ويمكن القول أن الغرب يتحمل جزءاً كبيراً من المسئولية في هذا العداء والتنافر بين الغرب والمسلمين[٤].

فالنظرة الدينية للمسلمين في أوروبا، واستشعار الخطر منهم، يتحول إلى صدام فعلى عند تصادم المصالح أو ظهور النزعات الدينية المتطرفة أو عند الشعور بالخطر لسبب داخلي أو خارجي، ويتحول إلى صدام وعداء شامل ضد الإسلام والمسلمين.

والغرب على مدى تاريخه الطويل يبحث عن عدو لتحريك شعوبه وتعبئتهم وتوحيد حركتهم وتوجهاتهم، وغالباً ما يكون الإسلام هو كبش الفداء.

---

[4] د. محمد أبو ليلة : "العلاقة بين الإسلام والغرب"، دراسة منشورة في أهرام ١٧ فبراير ٢٠٠٦م.

وبشكل عام، فإن هناك اتجاهاً عاماً في الغرب سواء في حالة صراع فعلي مع الإسلام، أو في حالة الهدوء والتعايش السلمي، هناك اتجاه من جانب الغرب إلى تصوير الإسلام والمسلمين بصورة منفّرة ودونية على أنهم متخلفون، بدائيون، رافضون للحضارة، كارهون للآخر، إرهابيون، يؤمنون بالعنف.. هذه الصورة التي تسيطر على مناهج التاريخ والثقافة والدين والعلوم الاجتماعية، كما تسيطر على أجهزة الإعلام، ليس من شأنها تحسين العلاقة بين الإسلام والغرب، فالجاليات الإسلامية في دول الغرب ينظر إليها على أنها خلايا إرهابية نائمة، ترصد حركاتها وأموالها وعلاقاتها، وتخضع للرقابة غير المبررة. وقد أفرز الغرب بعض المصطلحات للحرب ضد الإسلام، مثل : "الإسلاموفوبيا" و"الخطر الأخضر"، و"نهاية التاريخ"، و"صدام الحضارات"، وأخيراً مصطلح "الحرب على الإرهاب"...إلخ. وكلها مصطلحات تستهدف الحرب على الإسلام والمسلمين.

ولاشك أن الهجوم الغير مبرر على نبي الإسلام هو حلقة في حلقات هذه الحرب المستمرة، ومن المعروف أن مثل هذه الحملات من شأنها إجهاض أية محاولة حوار بين الإسلام والغرب، أو حتى حالة تعايش سلمي بينهما، وهذا أيضاً يكشف عدم جدوى كل محاولات الحوار مع الغرب أو الحوار الحضاري، أو الحوار الديني، أو الثقافي على مدى عقود طويلة[5].

وإذا ما حاولنا تفسير هذه العلاقة المتوترة بين الغرب والإسلام، فإننا نجد أن الغرب يتحمل النصيب الأكبر منها، لكن المسلمون أيضاً يتحملون نصيباً منها. فمن المسلمين من يهاجم الحضارة الغربية جملة واحدة، دون تمييز بين الجوانب المشرقة والجيدة في هذه الحضارة وبين الجوانب السيئة، ودون وعي بمعطيات التاريخ وأسرار الحضارة والتفاعل بين الحضارات. فكل حضارة بوصفها إفرازاً بشرياً يتفاعل فيه الإنسان مع بيئته ومع ما يواجهه من تحديات، وبوصفها نتاج

---

[5] المصدر السابق.

لتفاعل بين حضارات مختلفة، لابد أن يكون فيها سلبيات، والحضارات لا تدان بسبب وجود سلبيات فيها، ولكن تُدان بسبب رفضها واحتقارها وتوظيفها ضد الآخر الحضاري أو ضد الشعوب الأخرى.

ومن أهم الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين : الحكم على الغرب كله بالفساد الأخلاقي أو بالكفر أو بكراهية الإسلام والحقد عليه، كما أن البعض من المسلمين لا يميز بين اتجاهات السياسيين واتجاهات الشعوب، ومن أهم أخطاء المسلمين عدم نجاحهم في توظيف الثروات الفكرية والثقافية والدينية أو توظيف إمكاناتهم المتنوعة وثرواتهم الطبيعية وعقولهم وعبقرياتهم في التعامل العقلاني مع الغرب. لقد أهمل المسلمون مقومات نجاح حضارتهم العملاقة التي أفادت العالم كله بما فيه العالم الغربي، وأخرجته من الظلمات إلى النور، أهملوا التفكير والعلم والتكنولوجيا وتنمية وعمارة الأرض، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واستسلموا للخوف والتبعية والهيمنة الغربية ومحاولات التمزيق والتفتيت. وبهذا لم يعد لديهم شيء يتحصنون به إلا الماضي وأمجاد الآباء والأجداد، وتخلوا عن واقعهم وثرواتهم ومقدراتهم ليتحكم فيها الغرب[٦].

ولاشك أن الغرب يتسم بنزعة عنصرية فيها تمركز شديد حول الذات Ethno cen trism ويتسم بنزعة استعلائية شديدة، وتحرّكه الرأسمالية المتوحشة المسيطرة على مجتمعاته، هذه السمات البغيضة لدى الغرب من استعلاء وعنصرية واستنزاف لثروات الآخرين ورأسمالية غير أخلاقية..إلخ لم يستطع الغرب التخلص منها حتى بعد أن رفع راية الحريات وحقوق الإنسان والديمقراطية، لكن على الرغم من هذا التشخيص، فإن الغرب يجب ألا يؤخذ كوحدة، فهناك المنصفون للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك الشعوب التي يتشكل وجداتنها من المناهج الدراسية وأجهزة الإعلام المغرضة ولا

---

[6] المصدر السابق.

ذنب لها، وهناك المراكز الغربية للدراسات الإسلامية الموضوعية المحايدة.. صحيح أن هناك نزعات تطرف في الغرب مثل حركة اليمين المسيحي أو المسيحية المتصهينة في الغرب، وحركة "الميثودست"، وصحيح أنه توجد لدينا في الإسلام جماعات متطرفة متشددة باسم الإسلام، لكن المهم هنا الإشارة إلى أن التطرف ظاهرة عالمية يجب التصدي لها والحرب عليها، وهي ظاهرة موجودة في كل المجتمعات وكل الأديان، ويجب ألا تتحمل الشعوب جريرة هذا التطرف، ويجب عدم تحميل المسلمين وحدهم جريرة هذا التطرف والإرهاب الذي يتخلل كل الديانات والشعوب ولا وطن له ولا دين.

الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم ومفهوم حرية التعبير :

يذهب فهمي هويدي بحق إلى أن المثير في التطاول والبذاءات الغربية على الإسلام وكتابه ورسوله، ليس هو تطاول شخصي أو جماعة متعصبة، أو حتى منبر إعلامي معين على شخصية الرسول، أو على مقدس من مقدسات الإسلام والمسلمين، ولكن ما يدهش أكثر هو تعامل الحكومات والصفوة المثقفة في الغرب مع هذه الإساءات، فقد تبنت بعض الحكومات أو المسئولين فيها هذه الاتهامات والإساءات والبذاءات، وقد علا صوت الحاقدين والمبغضين للإسلام على صوت المنصفين والعلاء من مثقفي ومفكري الغرب[٧]. وهناك رؤساء الدول مثل "نيكسون" في كتابه ((انتهز الفرصة)) يقول : ((إننا لا نخشى الضربة النووية، ولكن نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية الذاتية للغرب))[٨].

والتحليل العلمي لهذه الهجمة الشرسة يحتاج إلى الكشف عما وراءها واستخلاص العبر والدروس؛ حتى يتسنى للصفوة من مثقفي الإسلام الرد المنهجي والعلمي عليها. فلاشك أن تلك الهجمة ناجمة عن اعتبار المشروع الحضاري

---

[7] فهمي هويدي : "إعلامنا يجب أن يتحرر ويرد على الحاقدين"، دراسة بالأهرام. النسخة السابق بيانها.
[8] محمد أحمد المقدم : هويتنا أو الهاوية، دار الإيمان، ص ٤٤، ٢٠٠٦م.

الذي يقدمه الإسلام خطراً على ممارساتهم للظلم الاجتماعي وعدم العدالة في التوزيع والرأسمالية التي توحشت، وخطر على محاولات الهيمنة والسيطرة على مقدرات العالم من الثروات، ومحاولة احتلال دول وممارسة أبشع أنواع إبادة الجنس البشري في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن هذه الإساءات تصدر تحت مظلة فكرة حرية التعبير، والواقع أن التعبير هو سلوك اجتماعي يجب حمايته مادام يخدم أية قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية...إلخ، لكن شيجب ألا يجنح للتطاول والعدوان على حريات الآخرين. والواقع أن فكرة الحرية المطلقة غير موجودة في كل دول العالم إلا في مجال حرية الاعتقاد والتفكير. وقوانين الحضارة وحقوق الإنسان تؤكد ضرورة عدم الإساءة إلى أية مقدسات لأي دين سماوي أو وضعي. وقد كان القرآن الكريم واضحاً في هذه النقطة عندما قال تعالى : (**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**)(الأنعام: من الآية١٠٨).

إن العوامل السياسية التي تقف وراء هذه الهجمة الشرسة الحاقدة على الإسلام والمسلمين متعددة أسبابها، وأهمها ما يلي :

١ــ الحساسية التاريخية إزاء المسلمين منذ الحروب الصليبية، وما تزال آثارها باقية في العقل الغربي وفي مناهج التعليم عندهم.

٢ــ عمليات الإثارة والتحريض المستمرة ضد الإسلام التي تمارسها الأبواق الإعلامية العملاقة الموجهة من الحركة الصهيونية العالمية.

٣ــ أن أوروبا حسب الإحصاءات الواقعية يعيش فيها اليوم حوالي ٤١مليون مسلم في بعض التقديرات و ٨٠ مليون مسلم في تقديرات أخرى، وهو أمر يعض مضاجح السلطات في أوروبا؛ لأن هذا التزايد مع التراجع الديمجرافي للسكان النصارى واليهود، يمكن أن يوصل المسلمين إلى

التحكم في القرار السياسي لأوروبا يوماً ما، وبالتالي يعطي لهم الفرصة للانتقام من الغرب الذي اضطهدهم وأساء إلى مقدساتهم.

إن خير أساليب الدفاع عن الإسلام وعن الرسول والرموز الدينية هو أن نحقق نحن في ذاتنا نموذجاً جيداً مقتدياً بسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في كل مجالات الحياة. فالمشكلة عندنا تتمثل في وجود نماذج سيئة لا تطبق الإسلام الصحيح، والمشكلة أننا نعاني –كشعوب مسلمة– من حالة الضعف والهوان والتخلف والتبعية، وأننا لا نتابع ما يكتب عنا ولا نرد عليه بشكل إعلامي ثقافي مكثف يصل إلى رجل الشارع في الغرب.

وإذا كنا نطالب الجالية الإسلامية في الغرب أن تقدم للغرب وللمجتمعات التي يعيشون فيها نموذجاً جيداً للإسلام في حضّه على قيم العدل والحق والعدل والتسامح والعلم، فإن المشكلة أن بعض المسلمين في الغرب يضطرون إلى الانخلاع والتخلي عن قيمه الإسلامية حتى يكون مقبولاً منـدمجاً في مجتمعات الغرب. وقد رأينا أزمة الحجاب في فرنسا وغيرها من دول أوروبا، وهناك ولاية في ألمانيا (فورتنبرج) اتُّخذ فيها قراراً بإخضاع المسلمين الذين يريدون اكتساب الجنسية والإقامة إلى ما أطلق عليه "امتحان الإخلاص"، وهو عبارة عن ٣٠ سؤال للتأكد من إخلاص المسلم الوافد لمجتمع المهجر، وتدور هذه الأسئلة عن عدة قضايا، مثل : رأي الشخص في تعدد الزوجات، وأزياء النساء، والجنسية المثلية...إلخ، ويتحدد قبوله أو رفضه حسب إجابته عن هذه الأسئلة. هذه الإجراءات قاصرة على المسلمين ولا تطبق على الصينيين أو الهنود أو أبناء أمريكا اللاتينية المهاجرين إلى ألمانيا، هذه بعض من كل يعكس الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين.

وهذا يقتضي منا إعادة النظر في الثقافة والتعليم والإعلام ومنظومة الفكر داخل الدول الإسلامية، وأساليب تعاملنا مع الآخر، فهذه الإساءات الموجهة

للرسول صلى الله عليه وسلم إذا وجهت ربعها إلى أي رئيس دولة في منطقتنا لقامت الدنيا و لم تقعد، فما بالنا بهذه الإساءات إلى رسول كريم يؤمن به ربع سكان الكرة الأرضية[9].

إن الغرب الذي يتشدق بحقوق الإنسان والحريات والعدالة والمساواة ومبادئ الثورة الفرنسية، يمارس أبشع انتهاك لهذه الحقوق عندما يكون الآخر مسلماً، ولا يطبق فكرة حرية التعبير في البذاءات والعدوان إلا على المسلمين، وهذا يقتضي منا تغييراً في سياساتنا الداخلية والخارجية، وأن ننصر الرسول أولاً في أنفسنا وفي نظمنا ومجتمعاتنا، فليست النصرة فقط في مجال القتال، لكن النصرة هي إحياء سننه المهجورة، والالتزام بهديه، وتحقيق التقدم الذي طالبنا به الإسلام بالاستحواذ على كل مصادر القوة، حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس كما قال عنا ربنا سبحانه وتعالى.

آراء بعض المنصفين الغربيين حول الرسول صلى الله عليه وسلم :

يجب إبراز آراء العديد من كبار الباحثين الغربيين الموضوعيين والمحايدين حول الإسلام ونبيه الكريم. وسوف نعرض فيما يلي بعضاً من هؤلاء :

(أ) مايكل هارت :

إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يسيء إليه الغرب بالمقالات والكتب والرسوم والمسرحيات والأفلام...إلخ أدرك حقيقته وأنصفه كتاب غربيون موضوعيون يجب إبرازهم وتقديمهم للفكر الغربي الحاقد؛ انطلاقاً بأن الحق ما شهدت به الأعداء، فهذا "مايكل هارت" الباحث الأنجلوساكسوني الأمريكي قد أصدر كتاباً مهماً كان صدمة للكثير من مثقفي الغرب، وهو كتاب ((الخالدون مائة وأعظمهم محمد رسول الله))[10]. وقد كانت الصدمة للفكر الغربي الحاقد على الإسلام أن هذا الكاتب غير المسلم يضع رسول الإسلام في المرتبة الأولى،

---

[9] المصدر السابق.

[10] راجع كتاب مايكل هارت : "العظماء مائة وأعظمهم محمد رسول الله"، قدم له : أنيس منصور (الترجمة العربية).

بينما يضع عيسى –عليه السلام– في المرتبة الثالثة، ويضع موسى –عليه السلام– في المرتبة السادسة عشرة. وقد تم هذا الترتيب بناء على عدة أسس، أهمها :

١ــ أن تكون الشخصية واقعية وحقيقية وليست وهمية أو أسطورية مثل هوميروس في اليونان ، والحكيم الصيني "لانسو". لا أحد يجزم هل هم أناس حقيقيون أم أساطر أم شخصيات مجهولة.

٢ــ ألا تكون شخصيات مجهولة مثل الذي اخترع النار أو العجلة أو الكتابة.

٣ــ أن يكون أثره عميق سواء كان الأثر طيباً أم خبيثاً. فقد اختار من المائة "هتلر" الذي كان عبقرية شريرة.

٤ــ أن يكون للشخص أثر عالمي وليس مجرد أثر محلي أو إقليمي.

٥ــ أن يكون متوفياً، فقد استبعد كل الأحياء.

٦ــ الأثر الشخصي العميق المتحدد على الإنسانية.

ويهمنا هنا أن نرصد ما أورده مايكل هارت عن النبي صلى الله عليه وسلم، واستحق به أن يضعه على رأس العظماء المائة :

١ــ يقول هارت أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٥٧٠م في مدينة مكة، وهي منطقة من العالم القديم بعيدة عن مركز الحضارة والثقافة والتجارة العالمية، وكان أكثر العرب أميون ووثنيون، وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى.

٢ــ في الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيماناً بأن الله واحد أحد، وأن الله اصطفاه لتلقي الوحي من السماء.

٣ــ سنة ٦١٣م أذن الله لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يجاهر بالدعوة إلى الله، فدخل الإسلام عدد قليل من المكيين.

٤ــ سنة ٦٢٢م هاجر إلى المدينة، وهناك اكتسب الإسلام قوة وأنصاراً وتكونت الدولة الإسلامية.

٥ــ كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤثراً في عقول وقلوب الناس.

٦ــ في السنوات التالية تزايد عدد المسلمين ودخلوا في حروب كثيرة مع كفار مكة، وانتهت هذه المعارك بفتح مكة سنة ٦٣٠م، وعند وفاته صلى الله عليه وسلم كان الإسلام قد انتشر في شبه الجزيرة العربية.

٧ــ استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوحّد بين البدو والقبائل المتناحرة المتخلفة، وأن يعبئهم بالإيمان، وأن يهديهم إلى شهادة التوحيد، وهذا ما مكن جيوش المسلمين أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية، فزادت رقعة بلاد المسلمين من شمال شبه الجزيرة، وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين، واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

٨ــ سنة ٦٤٢م فتح المسلمون مصر وانتزعوها من الإمبراطورية البيزنطية وسحقوا الفرس في معركة القادسية، ومعركة نينوى سنة ٦٤٢م، وتمت هذه الانتصارات في عهد أبو بكر وعمر.

٩ــ سنة ٧١١م اكتسحت القوات المسلمة شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلسي، ثم عبرت البحر إلى أوروبا حيث عبروا مضيق جبل طارق إلى أسبانيا، وساد أوروبا كلها شعور في ذلك الوقت أن القوات الإسلامية قادرة على الاستيلاء على العالم المسيحي كله، لكن في سنة ٧٣٢م هزمت جيوش المسلمين في معركة تور بفرنسا بعد تقدمها إلى قلب فرنسا. ومع هذا فقد استطاع البدو المؤمنون بالله تأسيس إمبراطورية واسعة ممتدة من الهند إلى المحيط الأطلسي، وهو —حسب تعبير مايكل هارت- أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم.

١٠ــ وربما بدا شيئاً غريباً كما يقول هارت أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة العظماء المائة رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد

المسلمين، لكنه يعلل ذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لـــه دور أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته، مما كـــان لعيسى –عليه السلام– في الديانة المسيحية، فقد كـــان المـــسيح –عليـــه السلام– هو المسئول عن مبادئ الأخلاق المسيحية، وكان القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضاً المسئول عن كتابـــة الكثير مما جاء في كتب العهد الجديد.

١١ـــ تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم وهـــو كتـــاب للـــدنيا والآخرة أُرسيت فيه قواعد الشريعة والمبـــادئ الـــتي تحكـــم الـــسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس، والقرآن الذي نـــزل على محمد صلى الله عليه وسلم وحده وجد فيه المسلمون كل ما يحتاجونه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

١٢ـــ القرآن وهو دستور المسلمين نزل على الرسول وكمل وســـجلت آياتـــه كاملة في حياته بدقة كاملة، و لم يتغير حرف منه حتى الآن، وكان أثـــره بالغ العمق في نفوس المسلمين وأكثر عمقاً من الأثر الذي تركه عيـــسى على الديانة المسيحية.

١٣ـــ على المستوى الديني كان لكل من محمد وعيسى –عليهما السلام– أثرهما القوي على المؤمنين بهما، لكن ما يميز محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان رجلاً دنيوياً إلى جانب أنه رسول. فقد كان زوجاً وأباً وعمل في التجارة ورعى الغنم، وكان يقود الجيوش ويحارب ويصاب في الحروب ويمـــرض، ومات وهو مدين لمرابى يهودي بدرعه الذي كان يحارب به أهل الشرك، رهنه الرسول مقابل عشرة صاعات من الشعير.

١٤ـــ وإذا كان محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر العظماء تأثيراً في نفوس النـــاس (المؤمنين)، فإنه كان قائد وزعيم سياسي، وأحدث أسرع وأعظم تغـــيير

اجتماعي وسياسي في العالم حيث حول البدو العرب إلى صناع حضارة وإمبراطورية واسعة. لا يمكن تصور هذا التغيير والتأثير إلا برجل عظيم أو هو الأعظم في تاريخ الإنسانية.

١٥ـ حقق محمد صلى الله عليه وسلم أقوى وأعظم الانتصارات في الغزوات، وما كان هذا ليتحقق إلا برجل هو الأعظم، وزعيم عظيم، وهدايته لأتباعه، وإيمان الجميع به. وقد استمرت آثار هذه الغزوات حتى اليوم.

١٦ـ يقول هارت ((إن هذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها))[١١].

هذه الرؤية والتحليل العلمي لـ"مايكل هارت" فيها قدر كبير من الموضوعية.. صحيح أنه لا يؤمن به كنبي ورسول، لكنه يشير إلى أنه رسول الله حتى في عنوان الدراسة ((الخالدون مائة وأعظمهم محمد رسول الله))، مثل هذه الدراسات يجب إبرازها أمام مفكري ومثقفي الغرب لأنها بمثابة ((وشهد شاهد من أهلها)).

(ب) برنارد شو :

وإلى جانب "هارت" هناك العديد من نصارى الغرب من كبار المفكرين من عرضوا للرسول صلى الله عليه وسلم بشكل موضوعي إلى حد ما، فهذا برنارد شو الأديب والمفكر الإنجليزي الشهير يؤلف كتاباً ينصف فيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى حد كبير، وهو كتاب "محمد"[١٢]. يقول فيه : ((إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، إنه أعجوبة خالدة، بل هو في الواقع منقذ البشرية))، وبسبب هذه الآراء قامت السلطات البريطانية بإحراق نسخ هذا الكتاب.

---

[11] راجع دراسة مايكل هارت السابقة الإشارة إليها (الترجمة العربية)، وراجع مقدمة أنيس منصور.

[12] راجع كتاب "محمد" لبرنارد شو. وراجع : دراسة د. عبد الله بركات في أهرام ١٧ فبراير ٢٠٠٦م.

(ج) جوته :

أما الأديب الألماني "جوته"، فقد كان منصفاً في بعض آرائه للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال : ((إننا أهل أوروبا لم نصل إلى ما وصل إليه محمد صلى الله عليه وسلم وسوف لا يتقدم عليه أحد من عظماء المفكرين والمصلحين)). ويقول : ((لقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى للإنسان فلم أجد أفضل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي نجح في إخضاع وتوحيد العالم كله بكلمة التوحيد))[١٣].

(د) سجرين هونكه :

وهناك العديد من كتّاب وكاتبات الغرب المنصفين الذين يؤكدون أن الغرب إذا كان يعطينا الآن العلم والتكنولوجيا والأموال، فإن الإسلام قد منح الغرب عبر ثمانية قرون الفكر والعقل والفلسفة والحكمة والعلوم في مجالات الطب والهندسة والفلك وأصول الحكم والقانون.

ها ما تؤكده باحثة ألمانية هي "سجريد هونكه" حيث تؤكد في دراسة مهمة لها بعنوان : ((شمس الله تشرق على الغرب))[١٤] أن هذه الحملات الظالمة المتعصبة عرقاً وثقافة ولغة وأخلاقاً التي تقودها أوروبا وأمريكا والغرب ضد كل ما هو عربي وما هو مسلم آن لها أن تتوقف. وأشارت إلى أن كل ما في أوروبا من علم وتقدم يرجع إلى الإسلام والمسلمين، فالغرب أصحاب نهضة علمية لم تتوصل إليها الإنسانية، وهذه النهضة فاقت بكثير ما تركه اليونان والرومان، وقد ظل العرب ثمانية قرون يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة، وأخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، وهي تؤكد أن أوروبا والعالم كله كان يجب عليه الاعتراف بفضل العرب والمسلمين على إطلاق النهضة والحضارة

---

[13] المصدر السابق.

[14] راجع : كتاب سجرين هونكه بعنوان : "شمس الإسلام تشرق على الغرب"، الترجمة العربية. وراجع : عزت السعدني، دراسة بالأهرام ٢٠٠٦/٩/٣٠م.

المعاصرة في أوروبا والشرق والغرب، والاعتراف بهذا الدين الذي يطوق أعناق العالم كله، لكن التعصب واختلاف العقائد والمصالح الخاصة أعمى عيون الغربيين، فنادراً ما نجد إشارات إلى فضل العرب والمسلمين على حضارة الغرب، لا نجدها إلا في حوالي ٢% فقط من الدراسات، وأغلب الدراسات لا تلحق بالعرب إلا دور ساعي البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني.

تقول "سجريد هونكه" : ((لقد كتبت كتابي "شمس الله تشرق على الغرب" وهو في كلمه تقديم الشكر الذي كان يجب أن يُقدم للعرب منذ عصور بعيدة، لكنه تأخر كثيراً. إنني أعترف أنه تجرى الآن حملة ضارية عليكم كمسلمين وعرب، لكنها حملة مقصودة تستهدف إلحاق تهم ظالمة بحضارتكم العظيمة، تهم في حجم عمارة من مائة طابق مكتوب عليها كلمات الإرهاب والتعصب الأعمى وعدم استخدام العقل والمنطق))[١٥].

وقد توارت الحضارة العربية خجلاً وقلة حيلة أمام الحضارة الغربية التي تركب حصاناً جامحاً لا يستطيع أحد أ، يقف في طريقه.

وتشير "هونكه" إلى أن هناك العديد من كبار الكتّاب والسينمائيين من قدموا الإسلام ونبيه بشكل صحيح، فهناك فيلم ((الحرب والسلام)) لتولستوى الروسي، وفيلم ((أنا كارينا)) الذي اقتبس منه فيلم ((نهر الحب)) الذي مثل فيه زكي رستم وعمر الشريف وفاتن حمامة. فالمبدع تولستوي يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا ريب أن هذا النبي صلى الله عليه وسلم كان من كبار وأهم الرجال المصلحين الذي خدموا المجتمعات البشرية خدمة جليلة. ويكفيه فخراً أنه هدى أمدة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا. ويكفيه فخراً أنه فتح الرقى والتقدم)). وهذا بتروفسكي أحد المستشرقين المنصفين يقول : ((لاشك أن الإسلام أحدث تغيراً

[15] راجع : دراسة عزت السعدني السابق الإشارة إليها.

جذرياً في شتى مناحي الحياة عند الغرب، فقد كانوا يعيشون قبل الإسلام في جاهلية، وفي جهل وانحراف عن قواعد الخير والفضيلة والإنسانية. وقد كانت الحياة القبلية تفرض عليهم الخضوع لفوضى اجتماعية عاتية، وكانت الأصنام منتشرة في كل المعابد والساحات، وقد تم التغيير بفضل محمد صلى الله عليه وسلم وتعاليم رسالته)).

(هـ) كارين أرمسترونج :

هي مستشرقة اسكتلندية منصفة إلى حد كبير للإسلام والمسلمين، عاشت مع المسلمين وفهمت حقائق الإسلام ومبادئه وأساسياته، ولعل هذا الفهم هو ما جعلها تقول : ((من أفدح الأخطاء اعتبار أسامة بن لادن ممثلاً للإسلام، واعتبار "جيمس كورب" سفاح نيويورك ممثلاً للمسيحية، أو اعتبار "باروخ جول شتين" سفاح الحرم الإبراهيمي ممثلاً لليهودية، إن للإرهاب أسباباً أخرى)). وقد كانت "كارين" راهبة بريطانية، ثم تركت الرهبنة وعرفها العالم من كتابها بعنوان ((عبر البوابة الضيقة))، ثم ألفت دراسة مهمة بعنوان ((تاريخ الله))، وبدأت به سلسلة دراساتها الدينية المتعمقة. كذلك فقد كتبت كتاباً عن القدس بعنوان : ((مدينة واحدة وثلاث ديانات))، ودراسة بعنوان : ((محمد : السيرة الذاتي للنبي))، ودراسة بعنوان ((بوذا))، ودراسة أخرى بعنوان : ((موجز تاريخ الإسلام)).

وقد بذلك "أرمسترونج" جهوداً علمية متعمقة لتصحيح التاريخ، والكشف عن أخطاء شائعة حول الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كشفت محاولات الصهاينة الإسرائيليين تزييف الإسلام لما يكنونه من عداء وكراهية دفينة للإسلام.

وقد حاولت في دراستها تنقية الفكر الغربي من العديد من الأكاذيب حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنصفته بما يفوق قدرة الكثير من علماء المسلمين أنفسهم، وقد أوضحت موقع المرأة ومكانتها الرفيعة في الإسلام، وكيف

حرص الإسلام على إعلاء مكانتها وإعطائها الحرية والحقوق التي للإنسان بصفة عامة، وقد أوردت موقف أم سلمة –رضي الله عنها- في واقعة صلح الحديبية، عندما منع الرسول صلى الله عليه وسلم من دخول مكة وأداء العمرة بعد أن أحرموا وساقوا الهدي، وبعد إبرام صلح الحديبية طلب محمد صلى الله عليه وسلم من أصحابه فك إحرامهم انتظاراً إلى العام القادم حسب نصوص الاتفاقية، فأبى كثير من المسلمين، وذكر ذلك لأم سلمة وقال لها أن المسلمين يعصون أمره، فأشارت إليه بحل عملي بسيط أنقذ الموقف، أن يحل هو إحرامه ويخرج إلى الناس، وبالفعل كان في هذا حل للموقف وحل كل المسلمين معه إحرامهم.

ومن أهم ما قالته "أرمسترونج" لمفكري الحضارة الغربية : ((لا يعقل أن يكون ألف ومائتان مسلم من الإرهابيين.. فهم أصحاب حضارة لا تقل مكانة وثقلاً عن حضارة الغرب، وعلى الغربيين معرفة أن كلمة الإسلام جاءت في اللغة العربية من كلمة السلام)).

نحو إستراتيجية علمية للدفاع عن الإسلام ونبي الإسلام :

ونستطيع إيجاز أهم أبعاد هذه الإستراتيجية المقترحة في النقاط السريعة الآتية، والتي يمكن أن نفصلها في دراسة أكثر توسعاً :

أولاً : الحرص على إعادة ترتيب البيت الإسلامي من الداخل، وأن ننصر الإسلام ونبيه الكريم في أنفسنا وفي مجتمعاتنا، وهذا يعني أن تهتدي مجتمعاتنا في نظمها –الأسرية والاقتصادية والسياسية والتربوية...إلخ- وفي علاقاتها وفي سلوك أبنائها، بالثوابت الإسلامية، حتى تكون لدينا نماذج إسلامية مشرقة في مجالات النظم والبحث العلمي والتقدم الاقتصادي، وإتقان العمل والشورى وحقوق الإنسان والحريا، وهي من أهم مرتكزات الإسلام، وهذا يتيح لنا بناء القوى التي نحمي بها أنفسنا من جهة، وتحقق لنا التقدم الاقتصادي الذي يعفينا من التبعية وتبعاتها المذلة، ويتيح لنا فرصة لتقديم

نماذج إسلامية علمية في كل مجال، بدلاً من مجرد الحديث مع الغرب والعالم عن نظم وإستراتيجية إسلامية نظرية لا نطبقها نحن المسلمون، ونعاني من التخلف الفقر والتبعية في كل المجالات. وهنا سوف يكون الغرب منطقياً عندما يقول لنا إذا كانت هذه النماذج والنظم الإسلامية صالح فلماذا لا تطبقوها؟ ونحن في هذه الحالة يكون حالنا مثل حال ما قاله الله تعالى في القرآن الكريم (**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**). ومثل قول الشاعر :

والعيث في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ثانياً : نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة داخل مجتمعاتنا؛ لأن الكثير من جوانب هذه الثقافة تفشل عمليات التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها في غرسها في النشء، وهذا هو سبب الانحراف والتمزق والضياع والبعد عن الدين الصحيح الذي يعد المدخل الصحيح لتحقيق النهضة والوحدة والرقي ومواجهة كل المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا.

ثالثاً : مخاطبة الغرب والشرق –كل بلغته- ولا نظل نحدّث أنفسنا، فيجب الوصول إلى رجل الشارع الغربي من خلال كتيبات مبسطة وصحيحة حول الإسلام في سماحته ويسره ووسطيته، ومن خلال قنوات فضائية موجهة للغرب بلغاتهم، ومن خلال شراء ساعات في القنوات الغربية ذات المشاهدة المرتفعة لعرض حقائق الإسلام باللغات الوطنية في كل مجتمعات الغرب.

رابعاً : استثمار آراء الغربيين المنصفين للإسلام وأصحاب الكتابات الموضوعية – وهم كثر- لعرضها على مثقفي الغرب ورجل الشارع لديهم؛ ليعرفوا أن هناك العديد من المسيحيين واليهود الغربيين قد فهموا الإسلام بشكل

موضوعي، وللوقوف أمام الحاقدين على الإسلام من المستشرقين والصهاينة وأصحاب المصالح الخاصة والرأسمالية المتوحشة.

خامساً : التواصل والتعاون مع مراكز دراسات إسلامية في الغرب، تتسم بالحيدة والموضوعية والإنصاف للإسلام ونبي الإسلام، مثل مركز الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد بإنجلترا، بقيادة الأمير تشارلز الذي يتحدث عن الإسلام أفضل بكثير مما يتكلم به بعض علماء المسلمين، ومثل مركز الدراسات الإسلامية في جامعة جورج تاون بأمريكا، وفيها باحثين موضوعيين مثل "اسبوزيتو"، وهناك العديد من المراكز الإسلامية المنصفة في الغرب، وهناك أشكال كثيرة للتعاون الثقافي والإعلامي وفي مجال النشر مع هذه المراكز.

سادساً : تأييد الجهود التي تبذلها هيئات دولية مثل اليونسكو، والمعهد السويدي بالإسكندرية، وجامعة الدول العربية؛ لتنقية المناهج الدراسية في دول الغرب من الأخطاء الفادحة حول حقائق الإسلام ومبادئه وأهدافه وقيمه، وقد حضرنا مؤتمراً حول هذا الموضوع في جامعة الدول العربية عام ٢٠٠٥م. المهم هنا تنقية صورة الإسلام الخاطئة في كتب التاريخ التي يدرسها الطلاب في الغرب وأوربا، كذلك إصلاح صورة الغرب عند الطالب العربي، وهذا يقتضي نظرة موضوعية نقدية محايدة، وتعاوناً جاداً بين المسئولين التربويين لدى المسلمين ولدى الغرب.

سابعاً : تجديد الخطاب الإسلامي، فإلى جانب الوعظ والإرشاد وعرض حقائق الدين في سماحته ووسطيته، سواء على مستوى داخل الدول الإسلامية باللغة العربية أو على مستوى الدول الأجنبية باللغات المحلية في كل دولة، يجب استخدام الأساليب الفنية والدرامية وكرتون الأطفال في عرض عقيدة الإسلام وقيمه العليا ومكارم الأخلاق. لكن هذا يفترض التمكن

من فنون الدراما وبناء الرواية والسيناريو والتصوير والتمثيل، ويفترض التمكن من تكنولوجيا التصوير والإخراج، ويجب أن نوظف الدراما وكرتون الأطفال في خدمة عرض حقائق الإسلام الصحيح وبصورة مشوقة تحقق أعلى درجات الحرفية والفن والتكنولوجيا، حتى يقبل على مشاهدتها الإنسان الغربي، فالمشاهدة عمل اختياري.

ثامناً : التواصل مع الجاليات الإسلامية في الغرب، وربطهم بأوطانهم، مع مساعدتهم على الاندماج في مجتمعات المهجر، ولا تناقض بين الأمرين، المهم التواصل معهم وحل مشكلاتهم، وتزويدهم بما يطلبونه، وإقامة مدارس ومعاهد إسلامية في الخارج والصرف عليها وإمدادها بالمعلمين المهرة وبكل الإمكانات المطلوبة، وكذلك حسن توظيف هذه الجاليات في خدمة نشر الإسلام الصحيح، فهم أكثر قبولاً لدى مجتمعاتهم المهجرية من أناس نرسلهم لإلقاء محاضرات من مجتمعاتنا العربية.

تاسعاً : تفعيل الأجهزة والمؤسسات التي تخدم الإسلام والمسلمين، مثل : منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، والإيسيسكو؛ لتكثيف نشاطها في نشر الإسلام الصحيح لدى الغرب من خلال القنوات الإعلامية والتربوية والعلمية المشروعة والمشاهدة عندهم.

عاشراً : دعوة كبار المشتغلين بالفكر الإسلامي من الغرب والشرق لإلقاء محاضرات في دولنا، ولإطلاق حالة حوار وتواصل معهم لإطلاعهم على حقائق الإسلام الصحيح.

حادي عشر : توظيف المواقع الإسلامية على الإنترنت لعرض حقائق الإسلام الوسطى، والرد على كل الافتراءات والأخطاء والأكاذيب التي تحاول تشويهه.

ثاني عشر : إعادة تنظيم العديد من القنوات الفضائية الإسلامية التي يتكاثر عددها بحمد الله، مثل : قناة المجد، وقناة الفجر، وقناة الناس...إلخ، على أن تبث إرسالها باللغات الأوروبية وتوجه على القمر الأوروبي والأقمار المشاهدة في أوروبا وأمريكا.

ثالث عشر : هناك مراصد لرصد كل الاعتداءات على الإسلام والرد عليها، لكن الأمر يحتاج إلى تفعيلها والتنسيق بينه لتكون أكثر قدرة على الوصول لأكبر عدد من المشاهدين في الغرب والشرق.

رابع عشر : نحن نتحمل جزءاً كبيراً من المسئولية عن الصورة السيئة للإسلام، وعن إساءة الغرب والشرق لنبي الإسلام، فهم لا يعرفون الإسلام ولا يعرفون النبي إلا من خلال واقع المسلمين في بلاد الإسلام، وواقع الجاليات الإسلامية في دول الغرب. والمسلمون يعانون من التخلف والتبعية وإهمال مقومات النهضة من تعليم وعلم وتكنولوجيا وإنتاج وتقدم اقتصادي، ونحن في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم عالة على المجتمعات الغربية في كل ما نستهلكه أو أغلبه، وفي مقدمة ذلك الغذاء والدواء والأجهزة والسلاح، ونعتمد على رأس المالي الغربي والخبرة الغربية والتكنولوجيا الغربية.. أما بالنسبة للجاليات الإسلامية في الغرب، فإنهم في قطاع كبير منهم ينقسم إلى قسمين : الأول مهاجرين غير شرعيين، أو أنهم يسلكون سلوكاً غير متحضر (كالبصق في الشوارع، والتهرب من تذاكر المواصلات، والصوت العالي، وأحياناً النصب...إلخ). أما القسم الثاني : فهو الأغنياء السفهاء الذين يحضرون في صالات القمار والميسر ويمارسون البغاء ويصرفون ببذخ على هذه الانحرافات.

هذه النماذج الفكرية والسلوكية هي أحد المصادر لمعرفة الإسلام في الغرب، والحل هو أن نبدأ نحن بحب الله والرسول حباً حقيقياً، ونصرته في أنفسنا وقيمنا

وسلوكنا (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**)(آل عمران: من الآيــة٣١)، فنصرة الرسول لابد أن تبدأ بسلوكنا والاقتداء به قبل مطالبة الآخــر باحترامــه ونصرته.

ملخص بحث (مفكرو الغرب ومواقفهم المتناقضة من نبي الإسلام نحو إستراتيجية لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم)

أ.د. نبيل السمالوطي

البحث يطرح تاريخ الإساءة إلى نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم منذ ظهور الرسالة، وأسباب ذلك، كما يركز على الإساءات الحديثة والمعاصرة وآخرها حملات الرسوم الكاريكاتورية ضد النبي صلى الله عليه وسلم في الدانمارك، وحاضرة البابا بندكت السادس عشر في إحدى الجامعات الألمانية، وما تلاها من تفاعلات وأحداث والبحث يعالج عدة قضايا هي على النحو التالي :

١ــ العداء المعاصر للإسلام وكيفية المواجهة.

٢ــ الإسلام والغرب : تفاهم أم صراع؟

٣ــ الإساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومفهوم حرية التعبير.

٤ــ آراء بعض المنصفين الغربيين للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم .

وكيفية توظيفها واستثمارها كمدخل إستراتيجي للرد على الإساءات الغربية المتكررة (هارت، شو، جوته، هونكه، ارمسترونج).

٥ــ نحو إستراتيجية علمية منهجية للدفاع عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم .